ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:06، العدد:01 (2022)، ص600-611

الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي (1686- 1734) وجهوده في فتح وهران الأول سنة 1708م

Bey Mustapha bouchlaghem Al-Masrati (1686-1734) And his efforts in Open of Oran I in 1708

درعي فاطمة
جامعة معسكر (الجزائر)
Fatima.drai@univ-mascara.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/01/22
تاريخ القبول:
2022/06/03

الكلمات المفتاحية:
- ✓ بايلك الغرب
- ✓ مصطفى بوشلاغم
- ✓ فتح وهران
- ✓ الأسرة المسراتية

الملخص:

كانت لبايلك الغرب خصوصيته بحكم موقعه الإستراتيجي وظروفه الداخلية والخارجية المرتبطة بالاضطرابات الداخلية، وبالتهديدات الخارجية لسلاطين المغرب الأقصى والاحتلال الإسباني لوهران، وهو ما جعله يتميّز بالطابع العسكري قبل 1792م، هذه الظروف والعوامل فرضت وجود بايات قادرين على التحكّم في الأوضاع والتصدي للتهديدات والعمل على استرجاع وهران كالباي مصطفى بوشلاغم المسراتي. يتمحور مقالنا الموسوم بـ: "**الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي (1686م – 1734م) وجهوده في فتح وهران الأول 1708م**" حول فترة حكم الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي وجهوده في توسيع حدود البايلك، وفي استرجاع وهران من الاحتلال الإسباني سنة 1708م.

Article info

Received:
22/01/2022
Accepted:
03/06/2022

Key words:
- ✓ Beylek al-Gharb
- ✓ Mustapha bouchlaghem
- ✓ Open of Oran
- ✓ Al-Masratia

Abstract:

The West's beylek had its specificity due to its strategic location and internal and external circumstances associated with internal disturbances, and external threats, these circumstances and factors imposed the existence of bayat able to control the situation and address threats and work to recover oran. Our article, entitled "Bey Mustapha bouchlaghem Al-Masrati (1686-1734 AD) and his efforts in Open of oran I 1708", revolves around the reign of Bey Mustapha Bouchlaghem al-Masrati and his efforts in expanding the borders of the Beylek, and in recapturing Oran from the Spanish occupation in 1708.

الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي (1686- 1734) وجهوده في فتح وهران الأول سنة 1708م

مقدمة

عرف بايلك الغرب العديد من التطورات في ظل الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير، حيث عملت السلطة القائمة على القضاء على هذا الاحتلال ودعم جهود البايات في هذا البايلك، وكان الباي مصطفى بوشلاغم من البايات البارزين من خلال دوره في فتح وهران الأول سنة 1708م رغم أن المصادر المحلية أغفلت الحديث عن الكثير من جوانب هذه الشخصية، ما ارتبط بنشأته وتعليمه وأسرته المسراتية وحكمها لبايلك الغرب، وكان التركيز الأكبر على فترة توليه حكم البايلك ودوره في الفتح الأول لوهران.

سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الموسومة بـ: "**الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي (1686م – 1734م) وجهوده في فتح وهران الأول 1708م**"، التعريف أكثر بشخصية الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي الذي ينتمي إلى الأسرة المسراتية التي حكمت بايلك الغرب لفترة طويلة، وعن دوره في مواجهة الإسبان والدفاع عن البايلك والعمل على تحرير وهران والمرسى الكبير.

ترتكز إشكالية الدراسة على التعريف بالباي وإبراز جهوده داخل البايلك وعمله على تخليصه من الاحتلال الإسباني نجاحه في تحريره سنة 1708م. وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة تساؤلات أبرزها: **من هو الباي مصطفى بوشلاغم؟ ما هي إنجازاته في بايلك الغرب؟ ما دوره في فتح وهران الأول؟**

المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج التاريخي، إلى جانب المنهج التحليلي القائم على قراءة النصوص التاريخية ومقارنتها، ورصد الأحداث وترتيبها كرونولوجيا.

1. التعريف بالباي مصطفى بوشلاغم المسراتي

هو مصطفى بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي المعروف ببوشلاغم (المزاري، ص 274) ثم الهواري، تولى بايا على مازونة وتلمسان، وقد استطاع توحيد الإيالة الغربية سنة 1098هـ/1686م، وقام بنقل مقر البايلك من مازونة وتلمسان إلى القلعة، ثم إلى معسكر التي اختارها لموقعها الذي يتوسّط مازونة وتلمسان، وعند محاصرة وهران بعد حصوله على الدعم من محمد بكداش (1705م–1710م) (الجامعي، 2003، ص 50)، ونجاحه في فتحها في 26 شوال 1119هـ/الموافق لـ 20 جانفي 1708م، نقل مقر البايلك مرة أخرى من معسكر إلى وهران (الجزائري، 1981، ص 253).

تربى مصطفى بوشلاغم في قصر محمد بكداش، والذي كان يكّن له محبة كبيرة لذلك اختاره لأن يكون بايا على بايلك الغرب (الوليش، 1993–1994، ص 21)، وقد اجتمعت في مصطفى بوشلاغم الكثير من الصفات كالبسالة والشجاعة والذكاء، وقد قال عنه محمد بن أحمد الحلفاوي في أرجوزته في فتح وهران:

والحازم العارف باي مصـــطفى وهو من الأقيال فايق مصطفى

ثمّ تنادى بالجـــهاد فـــي الآفاق فأعزم الحازم والغفـــل آفـــاق

فسارع النـــاس لـــه إذ طلبه لا سيما جماعـــــة من طلبة

فنـــزلوا الأول مـــن ربـــيع النـــبوي منســـلخ ربيـــع

في عسكر بيـــوته عدّ (مـــقر) وتـــركوا الأثقال فيه في مقر (الجزائري، 1981، ص 253)

لم تذكر المصادر والدراسات الحديثة لا تاريخ ولا مكان مولده، كما لم تذكر عن حياته أي شيء لا عن تعليمه، وكل ما ذكر عنه هو ما يرتبط بفترة توليه حكم البايلك.

2. الأسرة المسراتية

يقول بن عودة المزاري أن الأسرة المسراتية هم من فضلاء البايات بالمغرب (المزاري، ص 282)، ويضيف أنهم كانت لهم رياسة وعزة كاملة بمسراتة والقلعة (المزاري، ص 277)، وعن أصلهم يقول أبو عمر بن عثمان القلعي صاحب مخطوط قلعة بني راشد: "**المصارتية أصلهم من مدينة مصراتة المحاذية لبرقة ذات الرمال رحل أسلافهم مع خير الدين الذي افتك تونس من الإسبانيين ففتحوا معه الجزائر، وبذلك القتال أثبتهم خير الدين في الديوان**" (بوركبة، 2004، ص 113).

نسل هذه الأسرة قليل حسبما ذكره لنا بن عودة المزاري فمصطفى بوشلاغم وقايد لم يخلفا إلا البنات، أما محمد زرق العين ويوسف ومحمد أبو طالب المجاجي ومصطفى الأحمر فلم يعقبوا شيئا، وأما عابد فخلّف إبنين وهما يوسف ومحي الدين، فمنها يوسف خلّف ابنه القايد محمدا وهو خلّف محمد، وأبا زيّان فمحمد فخلفا محمد ومحمدا الموجودين الآن، ومنها محي الدين خلّف ابنه الخوجة وهو خلّف يوسف وهو خلّف أبا زيان وهو خلّف عدة أولاد موجودين الآن، وأما محمد بن زرقا فخلّف ابنين وهما ابن علي وعلي، فابن علي خلّف محمدا وهو خلّف عدو وقارة ومحمدا موجودين الآن، علي خلّف مصطفى وهو خلّف ابنين عابد وبن يوسف وذريته بالقلعة (المزاري، ص 282).

توارث أفراد الأسرة المسراتية حكم بايلك الغرب لمدة طويلة وارتبطوا كثيرا بمنصب الباي، حيث بقي مصطفى بوشلاغم في هذا المنصب من 1686م إلى 1734م وبعد وفاته سنة 1734م تولى ابنه يوسف (1734-1738م)، ومات بالوباء ليتولى بعده مصطفى الأحمر (1738-1748م) الحكم مدة عشر سنوات، ثم قتل مسموما من عائلة زوجته، ليتولى بعده محمد أبو طالب المجاجي (1748-1757م) الذي حكم تسع سنوات إلى أن قتل سنة 1757م، ليتولى بعده أخوه مصطفى قائد الذهب (1757- 1763م)، لكنه لم يستمر في الحكم سوى ست سنوات إلى أن ثار عليه صهره عثمان بن إبراهيم (1763-1771م)، وانتهى بذلك حكم الأسرة (المزاري، ص291).

كثرت الفتن والصراعات بين الباي عثمان والأسرة المسراتية، التي ذهب أفرادها إلى بابا علي واشتكوا له الباي وأبلغوا هذا الأخير بما قاموا به، فكتب الباي رسالة إلى بابا علي يخبره فيها أن الأسرة المسراتية قد خرجوا عن طاعته وطلبوا من الناس عدم تقديم المجابة المخزنية، فكان رد بابا علي: "**حيث ثبت لديك ما كتبت لي به فأمرهم في يدك، أحكم فيهم بم شئت وإن لم ينفعك فيهم إلا القتل فاقتلهم عن آخرهم لأن المفسد يجب قتله**"،

وقد حاربهم الباي وقتل سبعة من أعيانهم بمعسكر واستولى على جميع أموال الأسرة المسراتية (بوركبة، 2004، ص 114).

حاول أفراد الأسرة المسراتية قتل الباي عثمان حيث جاءه أحدهم وضربه بمسدس بيده إلا أنه نجا من ذلك فانتقم لذلك وقتلهم ولم ينجو منهم إلا اثنان هما بن زرقا وعابد ففرا إلى ضريح الولي الصالح سيدي محمد بن عودة بفليتة واستجارا به فعفا عنهما وأمنهما (المزاري، ص 283). لإنهاء الصراع تزوج الباي عثمان من حفيدة مصطفى بوشلاغم فأنهى بذلك الصراع، ولم يعد هناك ذكر للأسرة المسراتية في المصادر المحلية (بوكعبر، 2020، ص 21).

3. بايلك الغرب في عهد الباي مصطفى بوشلاغم

عرف بايلك الغرب عهدا جديدا بتولي مصطفى بوشلاغم إدارته سنة 1686م بعد الباي شعبان الزناقي (المزاري، ص227)، حيث قام بنقل مقر البايلك من مازونة إلى قلعة بني راشد، ثم إلى معسكر سنة 1701م، لبحثه عن مقر يتوسط البايلك (الوهراني، 1974، ص19) حتى لا تبقى قبائل الجنوب تعيش في تمرد وعصيان دائم ورفض مستمر لدفع الضرائب، كما قام بعدة حملات ضدها من أجل إخضاعها (بوجلال، 2017، ص56)، هذا بالإضافة إلى موقعها الذي يتوسّط مازونة وتلمسان اللتان جمعهما ووحّدهما تحت سيطرته لأول مرة بعد أن كان كل واحد منهما تحت سيطرة باي مستقل عن الآخر (بوعزيز، 2009، ص53). وقد أظهر الباي اهتماما كبيرا بأمر وهران والمرسى الكبير واستعداده لتحريرهما خاصة وأنه لقي الدعم والمساعدة من محمد بكداش الذي أمدّه بالقوات والأسلحة.

بالإضافة إلى نجاحه في فتح وهران وتحقيق الأمن والاستقرار للبايلك طوال فترة حكمه، ونقل مقر البايلك إلى معسكر ثم إلى وهران بعد فتحها سنة 1708م، اجتهد بتدعيم مركزه بها وبباقي جهات البايلك (بوعزيز، 2009، ص55)، كما عرف البايلك خلال هذه الفترة تدفّق الناس من جميع النواحي واستعادت وهران حيويتها التي فقدتها مع الاحتلال الإسباني.

كانت للباي مصطفى بوشلاغم إنجازاته الحضارية في المجال العمراني والتي أنشأها بعد فتحه لوهران، حيث عمل على تجديد عمران المدينة وأعاد لها نمطها العمراني الإسلامي (بلحميسي، 1970، ص72) فبنى الحمام والروضة والأقواس في الساحة الإسبانية (البلانصية) التي كتب عليها إثمه وتاريخ البناء ونصه: "**الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده، أمر ببناء هذه الأقواس المجاهد في سبيل الله السيد مصطفى بن يوسف عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف 1138هـ/الموافق 1725- 1726م**" (الزياني، 2013، ص 254).

بعد الفتح وبعد انتقاله إلى وهران جعل من القصبة مقرا للحكم وشرع في بناء قصره وبعض المرافق الأخرى كالحمام والمخازن (بلجوزي، 2014، ص 168)، بنى الحمام الذي يعرف حاليا بحمام الترك في الجهة الشمالية من حي القصبة القديم على الضفة اليسرى لوادي الرحى، وذلك في الفترة بين 1708- 1732م (بلجوزي، 2014، ص 168) وقد اهتم الباي ببناء المرافق العامة لأهميتها في مجتمع المدينة.

بعد سيطرة الإسبان على وهران سنة 1732م انتقل الباي مصطفى بوشلاغم إلى مستغانم أين نقل مقر البايلك والتي بقي بها إلى غاية وفاته سنة 1734م فبنى ضريحا له بالمطمر وحبسه للدفن وكتب فيه ما نصّه: "**حبس هذه القبة المباركة والروضة المرونقة أمير المؤمنين، العاشق المحب في سيد المرسلين الباي مصطفى بن يوسف بن محي الدين رزقه الله كمال اليقين، فأفاض عليه من كرامة الصالحين، آمين يا رب العالمين على عقبه وعقب عقبه بأن لا يدفن فيها غيرهم ومن بدّل أو غيّر فالله حسبه ويتولى الانتقام منه وأتممت وكملت هذه القبة على يد المعلم أسطى أحمد أعراب الجزائري بتاريخ أواخر شهر الله شعبان عام ستة وعشرين ومائة وألف ثم هاتين البيتين من الرجز:**

يا داخل القبة الله يرعاك أبشر بما ترجه من خير مولاك

وكتب هـــذه الأسطـار أسطى أحمـــد صفه بالنـجار

(المزاري، ص 275)

وقد دفن إلى جانبه آغته السيد البشير بن أحمد جد البحايثية (توفي سنة 1150هـ/1737م). وإلى جانب هذا الضريح بنى الباي برج يقال له برج الترك الأبطال، وحتى آغته بنى برجا يقال له برج المحال.

4. جهوده في فتح وهران الأول 1708م

من بين الإنجازات الهامة التي ساهم فيها الباي مصطفى بوشلاغم هي الدور البارز الذي قام به في فتح وهران الأول سنة 1708م، حيث فرض حصارا طويلا بين 1704- 1708م أدى إلى إنهاك القوات الإسبانية بوهران والمرسى الكبير، ومنع عنها الإمدادات عن طريق البحر، ووضع المناطق الجنوبية تحت مراقبته الدائمة، كما اتخذ موقعا يساعده على شن العمليات الحربية ضد كافة الأطراف فلجأ أول الأمر إلى إخضاع قبيلة بني عامر والقبائل المجاورة لحكمه وكانت تلك القبائل تقيم علاقات ود وصداقة مع الإسبان، ويكون بذلك قد شدّد الحصار على وهران وحرم الإسبان من الإمدادات الضرورية لهم.

قدّم محمد بكداش الدعم لمصطفى بوشلاغم واهتم بتجهيز جيش لفتح وهران قدّر عدده ما بين 8 آلاف و9 آلاف جندي مزوّدين بالمدافع الضخمة وكميات هائلة من البارود لصناعة الألغام لتفجير الأبراج الموجودة بوهران، وفي طريقه إلى الجهة الغربية لإحكام الحصار على المدينتين انضم إلى الجيش النظامي جماعات الفرسان غير النظامية من البربر (وولف، 2005، ص 276).

قاد جيش محمد بكداش صهره أحسن أوزن (الجامعي، 2003، ص79) الذي أظهر براعة وقدرات عسكرية كبيرة بتقسيمه الجيش إلى قسمين، قسم بحري قام بنقل المدافع والألغام لضرب الحصون حتى يسهل اقتحامها، وقسم يضم الجنود حيث اتخذ طريق البر، وكلما مر بمنطقة انضم إليه الكثير من المتطوّعين الراغبين في الجهاد، واتحد مع جيش مصطفى بوشلاغم المقدّر بحوالي 2500 جندي فبلغ مجموع القوات التي

قامت بتحرير وهران والمرسى الكبير 27 ألف مقاتل منهم 10 آلاف جندي نظامي و17 ألف متطوّع (تومي، 2015، ص 212).

بوصول الدعم من مدينة الجزائر بقيادة احسن أوزن اجتمعت القوات في 14 جوان 1707 (الجزائري، 1981، ص213) وبدأت حصار القوات الإسبانية وأسندت القيادة العامة للجيش لأحسن أوزن وإدارة العمليات العسكرية لمصطفى بوشلاغم لمعرفته الجيّدة بالمنطقة والحصار الطويل الذي فرضه على الإسبان والذي سيتواصل بوصول الدعم والذي سيساعد على إنهاك القوات الإسبانية والقبائل المتحالفة معها التي اضطرت إلى الامتناع عن دفع الضرائب للإسبان وتزويدهم بالمؤن نتيجة تضرّرها من الحصار الذي استمر أكثر من أربع سنوات، وهو ما أثّر سلبا على القوات الإسبانية المتحصّنة داخل المدينة.

خطّطت قوات الباي مصطفى بوشلاغم لضرب الأبراج وتحريرها من الإسبان لأهميتها الكبيرة في تحصين الإسبان وإطالة مدة الاحتلال الإسباني، لذلك أمر أحسن أوزن بهدم مجاز الماء الذي يأتي إلى وهران من خارج المدينة إلى وسطها لمنع الإسبان من التزوّد بالماء، ثم بدأت القوات بقصف حصن العيون (بوعزيز، 2009، ص 89) بالمدافع والقنابل وأحدثوا فيه أضرارا كبيرة مما سهّل عليهم اقتحامه (الجزائري، 1981، ص 213). وبعد معركة كبيرة كلّفت الطرفين خسائر بشرية تمكّنت القوات الجزائرية من دخول البرج واستسلم الإسبان في 8 سبتمبر 1707م (الجزائري، 1981، ص 215). وعن فتح البرج يقول الجامعي:

فكان بأكورة ذلك الفتح برج العيون فامنا للنجح (الجامعي، 2003، ص 96).

بعد السيطرة على برج العيون وتحصينه جيدا وتشديد الحراسة عليه وتطهيره من الإسبان واصلت القوات الجزائرية زحفها إلى برج الجبل (مرجاجو) (بوعزيز، 2009، ص91). الذي حفروا له خندقا وبدأ الهجوم في 22 سبتمبر 1707م، وبعد أيام من القتال استسلم الإسبان وسلّموا البرج في 28 سبتمبر 1707م (الجزائري،1981، ص207)، وأسر107 مقاتل و3 نساء ونقلوا إلى البرج أسلحتهم وأثاثهم وأطعمتهم (الجامعي، 2003،ص 74).

في ذات الوقت أمر احسن أوزن بمحاصرة برج بن زهوة (بوعزيز، 2009، ص 90) إلا أنهم لم يتمكّنوا من دخوله فطلب احسن أوزن الدعم من مصطفى بوشلاغم الذي نزل قبالة البرج وبدأت قواته في حفر مفارز وصنع مصاعد من الحطب لتسلق البرج، واستطاعوا عزله وقطع المدد عنه من جهة البحر (الجامعي، 2003، ص76) ، فاضطر الإسبان للخروج من وهران لمهاجمتهم بسبب الخسائر الكبيرة ونظرا للهجمات المتتالية، ورغم ذلك لم يتمكّنوا من اقتحام البرج إلا بعد تلغيمه ثلاث مرات فانفجر البرج وهاجمه الجزائريون وتمكنوا من السيطرة عليه وقتلوا من بداخله وتكبّد الإسبان بذلك خسائر بشرية كبيرة زادت عن 120 قتيل فيما فر 8 واستجاروا بحرم الباي بوشلاغم خوفا من الموت (تومي، 2015، ص 216).

بعد النجاح في السيطرة على برج بن زهوة تقدّمت الجيوش الجزائرية إلى البرج الجديد (الصبايحية) (بوعزيز، 2009، ص86) الذي حاصروه لمدة 8 أيام مما اضطر الإسبان الموجودين بداخله إلى الاستسلام، وهو ما مكّنهم من السيطرة على قسم كبير من مدينة وهران وهو القسم الممتد بين البرج الجديد والبرج الأحمر، هذا الأخير الذي تمكّنوا من السيطرة عليه بعد يوم واحد من الحصار.

بعد السيطرة على الأبراج أصبحت مدينة وهران مكشوفة في ظل عجز القوات الإسبانية عن الدفاع عن الأبراج التي كانت تحمي المدينة، فتحوّلت المعارك إلى داخل المدينة واستطاعت الجيوش الجزائرية الوصول إلى قصبة المدينة وتمكّنوا من تعطيل الاتصالات بين المدينة والأبراج المتبقية بيد الإسبان كبرج مرزاق وأبراج الأحبة (تومي، 2015، ص217) فعزلت المدينة حتى يسهل السيطرة عليها، فتقدمت القوات في مواجهة المقاومة الإسبانية البائسة.

ترجع بعض الكتابات الغربية أسباب تقدّم قوات مصطفى بوشلاغم إلى مساعدة بعض المهندسين والمدنيين المسيحيين أو خيانة البعض الذين سهّلوا عملية السيطرة على وهران إلى أن تم إخلاء المدينة، في حين فرّ الحاكم العام الإسباني دون كارلوس كارفا إلى المرسى الكبير ومنها إلى إسبانيا مع عدد من الإسبان (sandoval, 1926, pp. 65-66).

بعد هذه الانتصارات استطاعت القوات الجزائرية بقيادة احسن أوزن ومصطفى بوشلاغم من فتح وهران ودخولها، لتتجه بعد ذلك أنظارهم إلى المرسى الكبير الذي التجأ الجنود الإسبان الفارين من وهران والمقدّر عددهم بـ 3 آلاف جندي، فأمر احسن أوزن بمحاصرة المرسى الكبير برا وبحرا والعمل على تلغيم حصن المدينة أربع مرات إلى أن تمكّنوا من إلحاق أضرار كبيرة به ودارت معارك بين الطرفين انتهت باستسلام الإسبان، وقتل معظم من كان بالحصن البالغ عددهم حوالي 3 آلاف رجل وامرأة، وأباح مصطفى بوشلاغم دماء قبائل بني عامر المتعاونين مع الإسبان.

بطرد الإسبان من المرسى الكبير انتهى الوجود الإسباني من وهران فتم بذلك توحيد الإيالة لأول مرة منذ تأسيسها سنة 1519م، وكان لمصطفى بوشلاغم دور مهم وأساسي في هذا الإنجاز والانتصار المحقّق ضد الإسبان. وقد كتب الجامعي عن هذا النصر قائلا: "**ولما أقبلت رسل البشائر وتليت صحف فتحها على الأمير وعمّ الخطاب بالفرح جميع المؤمنين بلسان البشير، أمر الأمير نصره الله محمد بكداش بصنع وليمة الفتح وعيده وتسريح من كان في هم وعيده، وتزيين سوق البلد وتجديده، وتعطيل البيع والشراء، وقطع الجدال والمراء، ورفع الأحكام، وتنويع اللباس والطعام، ففتحت الناس صناديق الذخائر... وترجحت الأرجاء بنفحات الندي والعود وسجعت حمائم الأوتار على الرباب والعود وبرزت**" (الجامعي، 2003، ص 223-224).

أورد لنا يحيى بوعزيز صورة عن الأفراح التي أتبعت فتح وهران الأول نقلها عن أحد المصادر ومن بين ما جاء فيها: "**ولما أقبلت رسل البشائر وتليت صحف فتحها على الأمير، عم الخطاب بالفرح جميع المؤمنين بلسان التبشير، أما الأمير نصره الله الداي محمد بكداش باشا أمر بصنع وليمه الفرح وعيده، وتسريح من**

كان في هم وعيده، راي كل مسجون، وتزين بسوق البلاد وتجديده وتعطيل البيع والشراء وقطع الجدال والمراد، ورفع الأحكام وتنويع اللباس والطعام، ففتحت الناس صناديق الذخائر...وترجحت الأرجاء بنفحات الندي والعود وسجعت حمائم الأوتار على الرباب والعود وبرزت مخدرات الخدور وطلعت في الأبراج دكاكينهم الشموس والبدور وظللت أزقتها بالستور وتقلدت جدرانها بقلائد النحور، ولم يزالوا في نعيم منضود وظل ممدود، وسرور وأفراح وضحك وانشراح ليلهم ونهارهم سواء حتى توهموا أنهم في الخلود وأن كواكبهم لا تسقط من بيوت السعود" (بوعزيز، 2009، ص 54).

مع الاحتفالات بفتح وهران قام القنصل الإنجليزي بالتنويرات والزينة على مدى ثلاثة أيام بغية التقرّب من الديوان (ألتر، 1989، ص459)، كما اعترفت كل من فرنسا وبريطانيا بهذا النصر للداي من خلال تقديم الهدايا حيث قدّم القنصل الفرنسي قطعة من القماش الراقي فيما قدّم القنصل الإنجليزي هدايا قيّمة (وولف،2005، ص 379).

5. نتائج الفتح الأول لوهران 1708م

لقد ترتب عن هذا الانتصار التاريخي مجموعة من النتائج يمكن إيجازها في:

- إنهاء التواجد الإسباني في وهران والمرسى الكبير لمدة 24 سنة (1708م- 1732م).
- نقل عاصمة البايلك من معسكر إلى وهران وبالتالي تأكيد السيادة الجزائرية عليها ودليل وحدة التراب الجزائري.
- إرسال مفاتيح وهران إلى السلطان العثماني الذي فرح بهذا النصر وأعلن الأفراح بكل الأراضي العثمانية.
- فقدت الجزائر حوالي 8000 شهيد (تومي، علاقات الإيالات العثمانية مع إسبانيا ما بين 1520-1792م، 2018-2019، ص 528).
- إخضاع القبائل المتعاونة مع الإسبان والقضاء على سلطتهم من بعض الأقاليم، حيث أمر الباي بإبعاد قبائل بني عامر إلى تسالة عقابا لها على تعاونها مع الإسبان ومنح أراضيها القريبة من وهران إلى الدوائر وعبيد المغرب(Esterhazy, 1840, p. 172) .
- تكبّدت إسبانيا جراء العمليات العسكرية خسائر بشرية ومادية فادحة، بالإضافة إلى أسر 1230 من أفرادها موزّعين على النحو التالي: برج العيون:450 أسير، برج مرجاجو: 120 أسير منهم 3 نسوة، برج بن زهوة: 8 أو 9 أسرى، البرج الجديد: 400 أسير، البرج الأحمر: 160 أسير (الجامعي، 2003، ص 123).
- عودة نشاط البحرية الجزائرية عبر مينائي وهران والمرسى الكبير اللذين شكلا قاعدة رئيسية لانطلاق البحرية الجزائرية لمواجهة الإسبان والقوى الأوروبية المتحالفة معها، خاصة وأنها ساعدت على تنفيذ هجمات سريعة وخاطفة مع العودة السريعة وبأقل التكاليف (تومي، علاقات الإيالات العثمانية مع إسبانيا ما بين 1520-1792م، 2018-2019، ص 530).

– الاعتراف الفرنسي والإنجليزي بفتح وهران من خلال تقديم الهدايا إلى محمد بكداش، حيث قدّم القنصل الفرنسي قطعة من القماش الراقي، فيما قدّم القنصل الإنجليزي هدايا بقيمة 500 بياستر (وولف، الجزائر وأوربا 1500–1830، 2005، ص 379).

– بداية ظهور التمثيل الدبلوماسي الأوروبي في وهران من خلال توقيع معاهدة سلم بين الجزائر وفرنسا سنة 1719م التي منحت لفرنسا الحق في تعيين نائب لقنصلها في مدينة وهران بحجة العمل على خدمة وحماية مصالح الرعايا الفرنسيين المتواجدين بها، والواقع أن الهدف الحقيقي هو الوقوف ضد النفوذ الإنجليزي بها، وتجسّد ذلك من خلال الحصول على امتياز إنشاء مركز تجاري فرنسي بوهران سنة 1724م تبعه إنشاء مراكز أخرى على طول الساحل الغربي للجزائر (شوقي، 2021، ص 69–70).

– نشاط التجارة الداخلية والخارجية بفعل قدوم تجار أجانب ساعدوا على نشاطها، وشهدت المدينة استيراد كميات هامة من الأسلحة الفرنسية والإنجليزية(Camile, 1942, p. 43) .

– عرفت المدينة انتعاشا ديمغرافيا، حيث أخذ الناس يتوافدون عليها ويبنون بها دورهم وينشؤون حدائقهم، حتى أصبحت بعد مدة مدينة عامرة ومرسى زاخر بالحركة والعمران (المدني، 2007، ص 434).

بعد فتح وهران أرسل محمد بكداش هدية ثمينة إلى الباب العالي منها ثلاث مفاتيح ذهبية المعدن، وطلب من السلطان العثماني أن يتكرّم عليه بقفطان يلبسه لصهره حسن أوزن لكن طلبه قوبل بالرفض، ولم يحصل حسن أوزن على لقب باشا على الرغم من أن بعض الكتابات الأوروبية كانت تمنحه هذا اللقب (Berbrugger, 1865, p. 125).

لن يستمر محمد بكداش في الحكم طويلا بعد فتح وهران حيث سيقتل في مارس1710م بسبب عجزه عن دفع رواتب الإنكشارية لأن باي بايلك الشرق فر ومعه الدنوش التي جمعها قبل أن يقدّمها لمحمد بكداش الذي تأخر في دفع الرواتب مما أغضب الإنكشارية الذين ثاروا عليه وقاموا باغتياله (Berbrugger، 1865، صفحة 125).

هذا الاستقرار الذي عرفته البلاد لن يدوم طويلا حيث سيعمل الإسبان على السيطرة على وهران والمرسى الكبير وبدأوا بالتجهيز لذلك وما إن علم مصطفى بوشلاغم بتلك الاستعدادات الإسبانية حتى بدأ بتجهيز قواته التي بلغت حوالي 30 ألف مقاتل يدعمهم 2500 جندي و138 مدفع (ألتر، 1989، ص 482)، إلا أنه لم يحصل على أي دعم من مركز الإيالة فاضطر إلى الاعتماد على قواته.

عند وصول القوات الإسبانية إلى سواحل وهران في 25 جوان 1732م صادفتها عاصفة أخّرت تقدّمها واصطدمت مع قوات الباي بوشلاغم وجرت معارك بين الطرفين أظهرت الفارق في القوى، إلى أن بدأت المعركة الفاصلة في 30 جوان، ورغم مقاومة الباي إلا أن فارق القوة وتقدّم الجيوش الإسبانية أعاق تقدمه فتشتّت شمل القوات الجزائرية وبدأ انسحاب الجيش النظامي من المعركة، وتواصل تقدّم القوات الإسبانية التي سيطرت على المدينة في 1 جويلية 1732م، وبعد بلوغ أنباء الهزيمة إلى مركز السلطة بمدينة الجزائر قرّر

الداي عبدي باشا (1724 – 1732م) إرسال قوات مقدّرة بـ2000 جندي لدعم الباي إلا أنها كانت متأخرة بعد إعلان المدينتين استسلامهما. وقد طلب الباي الدعم من قبائل بني عامر إلا أنها خذلته معلنة ولائها للإسبان (المزاري، ص 257).

حاول مصطفى بوشلاغم الانسحاب إلى الجبال القريبة من المدينتين متّبعا سياسة الإنهاك التدريجي لقوات الخصم بفرض الحصار وقطع التموين وإتباع سياسة الكر والفر لإلحاق أكبر قدر من الخسائر، واستمر في هذا الأسلوب ما يقارب السنة كبّد خلالها القوات الإسبانية خسائر كبيرة، ففي 4 أكتوبر 1732م حاول الإسبان إدخال المؤن إلى حصن سانتا كروز إلا أن قوات الباي قامت بهجوم مباغت وسريع على القوات الإسبانية التي لم تستطيع تموين الحصن إلا بعد أن أنهكتها المعارك ضد الجزائريين.

كرّر الباي الهجمات على الإسبان في 4 نوفمبر 1732م أين هاجم وهران وخاض عدة معارك ضد الإسبان واستشهد ابنه خلالها ثم جدّد هجومه في 12 نوفمبر وانتقم لابنه فقتل الماركيز دوسانتا كروز وعددا من الضباط الإسبان (المزاري، ص 257)، وفي 10 جوان 1732م شنّت قوات الباي مصطفى بوشلاغم هجوما على وهران، وحاول استرجاع برج العيون ووصل إلى أبواب المدينة لكنه لم يتمكّن من تحريرها.

ظل الباي بوشلاغم يقاوم الإسبان ويحاول طردهم من وهران والمرسى الكبير وكأنه يلوم نفسه على ضياعها لذلك بقي مصمّما على استرجاعها لكن لم تتحقّق له أمنيته (تومي، 2015، ص 233). وبعد احتلال وهران نقل الباي مقر البايلك إلى مستغانم التي سيبقى بها إلى غاية وفاته سنة 1146هـ/1734م ودفن بها (المزاري، ص 276).

خاتمة

يعتبر الباي مصطفى بوشلاغم من البايات البارزين في بايلك الغرب ينتمي إلى الأسرة المسراتية التي توارث أبنائها الحكم ولعبت دورا كبيرا في تسيير شؤون البايلك.

حقّق الباي مصطفى بن يوسف المسراتي الأمن والاستقرار لبايلك الغرب وساهم في تحقيق إنجاز هام وهو تحرير وهران والمرسى الكبير الأول من الاحتلال الإسباني بدعم من محمد بكداش الذي كان يحظى عنده بمكانة متميّزة ساعدته على تولي منصب الباي وعلى لعب دور متميّز في البايلك، وعلى الرغم من أنه لم يتمكّن من الحفاظ على وهران والمرسى الكبير بعودة الاحتلال الإسباني سنة 1732م إلا أنه ترك بصمته المتميّزة من خلال الأدوار والإنجازات التي حقّقها.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

– الجامعي عبد الرحمن، (2003)، **فتح مدينة وهران**، تحقيق: مختار حساني، الجزائر، مخبر المخطوطات بجامعة الجزائر.

– الجزائري محمد بن ميمون، (1981)، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- الزياني محمد بن يوسف، (2013)، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
- المزاري بن عودة، (ب ت)، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**،ج1، تحقيق ودراسة: يحيى بوعزيز، الجزائر، دار الغرب الإسلامي.
- الوهراني مسلم بن عبد القادر، (1974)، **تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر**، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

المراجع:

باللغة العربية

- ألتر عزيز سامح، (1989)، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة محمود علي عامر، بيروت، دار النهضة العربية.،
- المدني أحمد توفيق، (2007)، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492**-1792، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع.
- بوعزيز يحيى، (2009)، **مدينة وهران عبر التاريخ، الجزائر**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
- وولف جون ب، (2005)، **الجزائر وأوربا (1500-1830)**، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، دار الغرب الإسلامي.

باللغة الأجنبية

- Esterhazy Walsin, (1840), **De La Domination Turque Dans L'Ancienne régence D'Alger**,Paris,Librairie De Charles Gossin.

الدراسات الأكاديمية

- الواليش فتيحة، (1993-1994)، **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر.
- بوجلال قدور، (2016-2017)، **مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671 – 1830**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1.
- بوكعبر تقي الدين، (2019-2020)، **تلخيص الجمان من حياة الحيوان لمحمد المصطفى بن زرفة الدحاوي المعسكري**، دراسة وتحقيق، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1.
- تومي طاهر، (2018- 2019)، **علاقات الإيالات العثمانية مع إسبانيا ما بين 1520- 1792**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس.
- تومي طاهر، (2014-2015)، **العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس.

الدوريات

باللغة العربية

- بلجوزي عبد الله، (2014)، **المنشآت المعمارية للباي مصطفى بوشلاغم ببايلك الغرب الجزائري**، مجلة الدراسات الأثرية، جامعة الجزائر 2، المجلد12، العدد1.
- بلحميسي مولاي، (1970)، **تحرير مدينة وهران 1708**، مجلة التاريخ وحضارة المغرب، العدد9.
- بوركبة محمد، (2004)، **جوانب من مخطوط قلعة بني راشد للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران1، المجلد1، العدد1.
- بن سعيدان محمد، (2021)، **التحرير الأول لوهران والمرسى الكبير عام 1708م**، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 06، العدد 02.

- شوقي عبد الكريم، (2021)، **دور الاستخبارات الجزائرية في تأمين مدينة الجزائر وتحرير وهران في القرن الثامن عشر**، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، المجلد 03، العدد 02.

باللغة الأجنبية

- Berbrugger A, (1865), **Epitaphe D'Ouzoun Le Conquérant D'Oran en 1708**, Revue Africaine, Volume N°09.

- Camile Kehl, (1942), **Oran et L'Oranie avant L'Occupation Française**, Bulletin De La Société De Géographie et 'Archéologie D'Oran, Tome 63.

- Sandoval, (1872), **Les Inscriptions D'Oran et De Mers-El-Kebir**, Revue Africaine, Volume N°16.